الخاتمة

عسى أن نكون في البحث الذي تقدم، قد وصلنا الى نتائج مهمة كشفت للقارئ عن جوانب أساسية في ظاهرة المخالفة، ولا بد لي أن أعرضَ أهمَها وأنا أصل الى نهاية البحث، وهي قد تتضمن تثبيت راى أُختُلِفَ فيه فرجحت ما أراه بالدليل والبرهان، أو رأي لم أُسبق إليه فأثبته بأدلته أيضاً.

ففي الفصل الأول من الباب الاول (المخالفة: دلالتها، وصورها، وأسبابها) توصلت في ضوء عرض مجموعة من التعاريف والآراء الى تعريف المخالفة، وهي ظاهرة صوتية يتحول فيها أحد صوتين مثلين، متجاورين أو مفصولين، الى صوتٍ آخر.

وعرفنا فيه أنَّ للمخالفة صورتين:

١-مخالفة متصلة، وهي على قسمين:

أ-مخالفة متصلة مقبلة.

ب- مخالفة متصلة مدبرة.

٢-مخالفة منفصلة، وهي على قسمين:

أ- مخالفة منفصلة مقبلة.

ب- مخالفة منفصلة مدبرة.

وانتهينا في هذا الفصل الى أنَّ السهولة وتأثير الأصوات في بعضها سببان يمكن أن يكونا خلاصة لكل الآراء التي قيلت في هذا الموضوع. وفي الفصل الثاني من الباب الاول (المخالفة في غير العربية) عرفنا أنَّ المخالفة ظاهرة عالمية تقع في اللغات الحية والمقصود بها اللغات الأجنبية، واللغات الميتة والمقصود بها اللغات الجزرية، وفي هذا الفصل قسمت المخالفة في اللغات غير العربية على قسمين متصلة ومنفصلة وعرَّفت كل قسم منها، ثم ذكرت أنواع كل قسم وهما المقبلة والمدبرة، ثم وضعت تعريفاً لها معززةً كلامي بالأمثلة، كما وضعت تقسيماً آخر للأصوات التي تقع فيها المخالفة وهي الصوامت والصوائت، وفي ضوء الدراسة الصوتية التي ختمت بها الفصل للأمثلة المذكورة فيه توصلنا

الى أنَّ غالبية الأصوات التي تبدل في ظاهرة المخالفة في اللغات غير العربية يكون لصوت من الأصوات المائعة وذلك لسهولة النطق بهذه الأصوات لأنَها تتوسط بين الشدة والرخاوة.

وفي الفصل الثالث (المخالفة في العربية) تتبعت مادة المخالفة عند علماء العرب القدامى، ووجدت أنّ رائد العلماء العرب في هذا المجال هو الخليل بن احمد الفراهيدي وتبعه تلميذه سيبويه، ووجدت إشارات عند كل من الكسائي والفراء وابن السكيت والمبرد والطبري والزجاج وابن خالويه والزجاجي وكثير غيرهم. وبذلك توصلنا الى أنَّ العرب القدماء عرفواالمخالفة وإن اختلفت تسمياتهم لها وتعددت ولكنهم ضربوا لنا أمثلة لكل أنواعها القياسية وغير القياسية.ثم عرضنا لصور المخالفة في العربية، ومثلت لكل صورة بعدة أمثلة، ووضعت تعريفاً لنوعي المخالفة المتصلة وهما: المقبلة والمدبرة، ونوعي المخالفة المنفصلة وهما: المقبلة والمدبرة، معززةً كلامي بالأمثلة التي كتبتها كتابةً صوتيةً لأبين الفرق بين التعليل الصرفي القديم والتعليل الصوتي الحديث، وقدّمتُ عدداً من الآراء المقترحة في التفسير مما لم يُسبق إليه البحث على ما أعلم.

ثم عرضنا للأصوات التي تدخلها المخالفة في العربية، ووجدنا أنَّ غالبية الابدال في الأمثلة غير القياسية يكون الى صوت النون، وأنَّ الأصوات المبدلة سواء تباعدت أو تقاربت أوتجاورت في المخارج مع الصوت المبدل منه فلا بد من جامع صوتي بينهما.

وفي الفصل الأول من الباب الثاني (المخالفة- دراسة صرفية) توصلنا في المبحث الأول منه وهو (المخالفة في الافعال الرباعية المكررة) الى تعدد مناشئ الكلمات الرباعية المكررة فقد تكون من أصول ثنائية كالفاظ الزجر، أو من أُصول ثلاثية، وهي التي وقفنا على أصلهاالثلاثي المضعف في المعجم وانطبقت عليها ظاهرة المخالفة وكونت مادة المبحث الأول، أو قد تكون وضعت هكذا ابتداءً، أو هي كلمات أعجمية، أو جاءت من أصلٍ ثلاثي على غير المألوف، وفصلنا القول في ذلك مع الأمثلة في مقدمة المبحث، وفي نهاية المبحث توصلنا الى انَّ المخالفة في الافعال الرباعية المكررة تخضع لقاعدة ثابتة تتلخص في نقطتين:

الأولى: إنَّ الابدال في المخالفة في الرباعي المكرر لا يقع إلا في الصوت الثاني من الثلاثي المضعف.

الثانية: انَّ الابدال دائماً مرده الى فاء الكلمة.

أما المبحث الثاني وهو (المخالفة في الافعال الرباعية المجردة والافعال الرباعية المكررة الحرفين الثالث والرابع) فقد انتهينا فيه الى أنَّ الابدال في الافعال الرباعية المجردة لايخضع لقاعدة ثابتة، ويقع الابدال غالباً في الصوت الأول من الصوتين المكررين في الكلمة، كما انتهينا في هذا المبحث الى أنه توجد أفعال تتفق في المعنى وفي الجذر الثلاثي مثال ذلك (بذعر وبذقر)، وافعال مختلفة في المعنى وتشترك في الجذر الثلاثي مثال ذلك (زغبد وزغرد)، وأفعال وقع فيها القلب المكاني وبلغت (٣٥) زوجاً، ورجحنا أن يكون الأصل فيها ما وقعت فيه المخالفة في الصوت الأول من الصوتين المضعفين وهو الأصل، لأنَّ الابدال في هذا النوع من الافعال الرباعية يغلب أن يبدل فيه الصوت الأول من الصوتين المضعفين.

كما وقفنا في هذا الفصل على أفعالٍ يمكن ارجاعها الى أصلين ثلاثيين تقع فيهما المخالفة قد يتفقان في المعنى أو يختلفان، وبلغ عددها (٨٦) فعلاً. كما وقفنا على أفعالٍ وقعت فيها المخالفة في حروف الزيادة (سألتمونيها)، وقلنا: إنَّ ما كان من حروف الزيادة على ما عدّهُ علماء العربية يمكن أن يكون قد زيد ابتداءً من غير تضعيف وابدال، ويمكن أن يكون قد جاء عن طريق التضعيف والابدال، وكونه من أحرف الزيادة ييسر أمر التعويض به لأنّه إذا أُلقِتْ زيادتَه في أماكن أُخرى كان ذلك دليلاً على ميل العرب الى هذا الصوت.

أما الافعال الرباعية المكررة الحرفين الأخيرين فانتهينا فيها الى أنّه يمكن اخضاعها لقاعدة ثابتة وهي: دائماً يبدل فيها الصوت الثاني الى ياء، ثم تقلب الياء الفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، هذا على منهج علماء العربية القدماء، أما على منهج المحدثين فالتفسير قائم على حذف المكرر مع صائته واطالة الصوت بالصائت القصير الذي قبله، أو بحذف قاعدة المقطع الأخير، فيتكون صائت طويل من التقاء صائتين.

وفي الفصل الثاني من الباب الثاني، وبعد تصنيف الأصوات التي دخلها الابدال في ظاهرة المخالفة وجدناها على خمسة أقسام:

١-الابدال بين الاصوات المتباعدة المخارج وبينها جامع صوتي وبلغت (٢٤٣) ابدالٍ والمقصود بالجامع الصوتي هو صفات الجهر والهمس والشدة والرخاوة والاطباق والانتفاح، ووجدنا أن أكثر الصفات التي يشترك فيها الصوتان المبدل والمبدل منه هي صفة الانفتاح والجهر ثم التوسط بين الشدة والرخاوة والجهر والانفتاح، ثم صفة الجهر، وأقل الصفات التي يشترك فيها الصوتان المبدل والمبدل منه هي الرخاوة والهمس والشدة، أما الاطباق فلم نقف على صوتين اشتركا فيه.

٢-الابدال بين الاصوات المتقاربة المخارج وبينها جامع صوتي وبلغ مجموعها (٢٥) ابدالاً.

٣-الابدال بين الاصوات المتباعدة المخارج وليس بينها جامع صوتي ووقعت (١٠) مرات.

٤-الابدال بين الاصوات المتجاورة في المخرج الواحد وعددها ثلاثة. وغالبية الابدال في هذه الاقسام الثلاثة الاخيرة انحصر بالاصوات الذلقية أي إما أن تبدل الأصوات الذلقية الى أصوات آخرى، أو تبدل الأصوات الآخرى الى الأصوات الذلقية.

٥-الابدال بين الاصوات المتقاربة المخارج، وليس بينها جامع صوتي ووقعت في بحثنا مرة واحدة فقط.

ووجدنا أنَّ صوت الراء هو أعلى حروف العربية تردداً وأكثرها دوراناً في ظاهرة المخالفة وهي نتيجة متفقة مع نتائج احصاءات الجذور الرباعية في المعجمين (التاج) و(اللسان) التي أجراها الدكتور علي حلمي موسى بالحاسوب، وأقل نسبة من ابدال الاصوات كانت لصوتي الهمزة والظاء، وهي نتيجة مقاربة لنتائج احصائية الحاسوب المذكورة آنفاً. وأخيراً وضعتُ قانوناً للابدال في المخالفة القياسية في اللغة العربية، وهو على ثلاثة أقسام:

١-الافعال الرباعية المكررة: يُبدل الحرف المضعف الثاني من الثلاثي المضعف، حرفاً من جنس فاء الفعل.

٢-الافعال الرباعية المكررة الحرفين الاخيرين: يُبدل الحرف المكرر الأخير ياءً، ثم تقلب الياء الفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

٣-الافعال الرباعية المجردة: يُبدل الصوت المضعف الاول أو الثاني صوتاً يغلب أن يكون من الاصوات المائعة أو المتوسطة بين الشدة والرخاوة وهي (ر. ن. ل. م) أو العين من أصوات الحلق، أو الباء من أصوات الشفة.

ويمكنني القول إنّ مادة الفصلين الثالث والرابع هي مادة جديدة وانتهينا فيهما الى نتائج جديدة لم يُسبق البحث فيها على ما أعلم. والحمد لله على كلّ حال، والشكر له أنْ هداني ووفقني لاتمام هذا البحث، اسأله تعالى حسن الختام إنه سميع مجيب.